الجامع العامة والاقليمية ولا ايا كان من العادات والرسوم ولو كانت مثبتة بالسلطة الرسولية او بسلطة سواها فهذه كلها ابطلناها ونبطلها

واننا تحقيقاً لما سبق ننقض ونأمر ان تُنقض كل تلك العادات والرسوم نقضاً صريحاً خاصاً كما لو كنا ذكرناها في هذه الرسالة كلمة بكلمة وكذلك ننقض كل ما يخالف ما قرّرناه

هذا واننا نريد ان نُنسخ هذه البراءة اذا كانت مطبوعة ومهورة بتوقيع المسجل وبختم احد الموظفين الكنسيين هي عينها يكون لها نفس القوة التي لبراءتنا هذه

اعطي في رومية بقرب القديس بطرس سنة الف وتسعماية واثنتي عشرة للمسيح في عيد ارتفاع الصليب وهي العاشرة لحبريتنا

الكردينال اغلياردي	الكردينال غوتي
رئيس دائرة الختم	رئيس مجمع انتشار
الرسولي	الايمان

المناولة الحرّة في الكنيسة الكاثوليكيّة

بفضل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر

نظر لاهوتي تاريخي تجاه لو يس شيخو اليسوعي

كان السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر ببنّته العالية وسموّ نظره وحسن تدبيره قد رفع شأن الكنيسة الكاثوليكية الى اوج العزّ فصارت بساعيةٍ كالسراج على المنارة يضيء ضوءها لكل من يطلب النور او كالمدينة على الجبل لا تخفى عظمتها على احد ايّاً كان

فلمّا قام من بعده على كرسيّ هامة الرسل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيدًا وجّه نظرهُ خصوصاً الى المؤمنين المتبثين في اقطار العالم ليرعى كلّ الخراف الناطقة الموكولة الى همتهِ في انجع مراعي الخلاص

فلتحقيق امنيته اخذ اولًا في قلع الزوان الذي كان العدو اخذ في زرعه في حقل الكنيسة فضرب على الاضاليل العصريَّة المستجدَّة وابطل مزاعم بعض المحدثين الذين ستروا تحت حجاب العلم الكاذب تعاليمهم الوخيمة ثمَّ جعل ينشط بخطبه ورسائله الرسولية واعماله الشخصية كل المشروعات الكاثوليكية من مؤتمرات عمومية ومجامع قربانية وانشاء محافل علمية ومنتديات اجتماعية حتى لم يفتهُ شيء مما يصلح لخير الكنيسة وابنائها كتوجيه انظار الكتبة الى آداب الصحافة وبعث همم الشبَّان المنتظمين في الجمعيات الترويضية وعلمَّ جرًّا

الَّا انَّ امام الاحبار مع عنايته بكل تلك الاعمال المتباينة قد جعل في مقدَّمة اهتمامه ترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة كأنه اراد ان تصدق فيه السمة التي وسمهُ بها على ما يظنّ احد الاولياء تعريفاً بشخصه انهُ سيكون «كنار موقدة (ignis ardens) . وذلك ما رمى اليه باختياره لاسم بيوس الذي معناه ذو التقى والورع وزاد صراحةً لبيان خطَّته في ادارة الكنيسة حيث اتَّخذ له شعارًا كلمة الرسول (افسوس ١ : ١٠) ان يجمع ويجدّد في المسيح كل شيء

ولم تبق تلك الغايات الشريفة في طيّ النسيان بل جدّ في اخراجها الى حيز العمل منذ ابتداء رئاسته . فمن ذلك اصلاحهُ للموسيقى الكنسية وتحريضهُ للمؤمنين على قراءة الانجيل المقدس وحضُّهُ الواعظين بان يكرزوا كلام الله ويحيدوا في خطب المنابر عن الزخارف الباطلة والمواضيع الناقة القليلة الجدوى . ومنها امرهُ للكهنة وخدمة الرعايا بان يشرحوا للشعب التعليم المسيحي في كل اسبوع

لكنَّ الكنيسة تستمدُّ خصوصاً اسباب حياتها من تلك الاسرار العجيبة التي وضعها السيد المسيح لتكون كمناهل النعم وينابيع الخلاص اذ منها يستقي ابناؤها الحياة وينالونها باوفر حظّ (يوحنا ١٠ : ١٠)

وقد امتاز بين تلك الابرار سرّ اعظم وارفع ألا وهو سرّ جسد ودم السيد المسيح في القربان الاقدس فهو المنّ الذي نزل من السماء فمن اكلهُ يحيا الى الأبد (يوحنا ٦ : ٥٢) اذ انَّ آكلهُ يحيا بالمسيح كما يحيا المسيح بابيه السماوي (يو ٦ : ٥٨)

فقد أنشى هذا السرّ الفائق لكل ادراك البشر اضحى القربان الاقدس كركز حياة الكنيسة وكالروح الالهيَّة المحيية لجسم البيعة المنظور فحيثما تمتدُّ كنيسة الله

فهناك جسدهُ الطاهر تجري منهُ سيول الحياة السماوية لتقدّس نفوس المؤمنين وترشحها لجنّات النعيم فهو هو الجسد الذي تحوم حولهُ النسور والعقبان (متى ٢٤ : ٢٨)

*

ومن خواصّ سرّ القربان الاقدس في البيعة المقدّسة انهُ رباط الحبّ بين كل ابناء الله اذ بهِ يعيشون تلك العيشة الاهليّة التي تجعلهم اولاد أب واحد هو الله بالذات وامّ واحدة هي كنيسة المسيح التي تولدهم في حجرها وتقوتهم بتعاليمها وتحنوهم كبؤبؤ عينها ريثما يتصوّر المسيح فيهم فيجري في عروقهم دم واحد وتجسمهم حياة واحدة ويكونون مكمّلين بالوحدة (يوحنا ١٧ : ٢٣)

فهذه الميزة الشريفة انما تنالها الكنيسة بتوزيع سرّ القربان الاقدس الذي اتخذه السيد المسيح على شبه الطعام اليومي من برّ يقوت الاجساد وشراب ينعشهُ اعني شكلي الخبز والخمر. قال بولس الاناء المصطفى في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ١٦ — ١٧) : « كأس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » فهذه الكأس وهذا الخبز لمّا رسمهما الرب كمربوط الوحدة بين تلاميذه قال لهم : « كلوا . واشربوا منهُ كلكم »

وما لبث السيد المسيح ان صعد الى السماء وارسل روحهُ الذي حلّ على تلاميذهِ فتأيدوا بقوّتهِ . لكنهم عرفوا « انّ حياة الروح كحياة الجسد معرّضة للضعف والفشل اذا لم يستمدّا الطعام الذي أعطي من الرب ولذلك يقول لوقا الرسول في الاعمال (٢ : ٤٢) انّ المسيحيين الاوّلين « كانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات »

وبقي المؤمنون في الاجيال الاولى مثابرين على تلك العادة الحميدة فيتقرّبون كل يوم الى ينبوع الحياة إمّا في المجتمعات العامّة في الكنيسة كما اشار اليهِ صاحب الاعمال وبولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٠) ويوستينوس في دفاعهِ عن النصرانيّة واما في بيوتهم حيث كانوا يحفظون جسد الربّ فيتناولونه كل يوم في عزلتهم كما افادنا ترتليانوس والقديس قبريانوس وايريناوس

على انّ الايمان ضعف بعد ذلك بفعل البدع التي انتشرت في الكنيسة وبسبب

غزات البرابرة الذين زحفوا على المملكة الرومانية ثم لاجل الحروب التي جرت بين الامم المسيحية وكان امتداد الكنيسة في اقاصي البلاد مع صعوبات المواصلات يصرف ايضاً نظر ارباب البيعة عن المؤمنين فصار التقرُّب من سرّ القربان الاقدس نادراً حتى انَّ الاحبار الرومانيين والمجامع المقدَّسة وضعوا حدوداً لذلك مَن تجاوزها اخطأ خطأً مميتاً

ثمَّ قام في الكنيسة رجال ابرار يتلهَّبون غيرةً على خلاص النفوس كالقديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانية اليسوعية والقديس فيليب دي نيري والقديس فرنسيس دي سال والقديس الفنس ليغوري وغيرهم كثيرين فنشروا العبادة القربان الاقدس وحثُّوا المؤمنين على المناولة المتواترة وتصدَّى اليسوعيُّون لبدعة جنسانيوس الساعية بابعاد المسيحيين عن سر الافخارستيا. فاتت مساعي هؤلاء مكلَّلة بالنجاح

ومن ثمَّ جعل الكاثوليك يزيدون رغبةً في التقرُّب من خبز الملائكة ولاسيما في القرن التاسع عشر بعد خمود نار الثورة الفرنسويَّة حيث شعر الكثيرون بوجوب قتل الكفر بالاقبال على الاسرار المقدسة. وقد حرَّض الاحبار الرومانيون كبيوس التاسع ولاون الثالث عشر على التقرُّب المتواتر الى سرّ محبة الله في القربان

ولكن لم يبلغ منهم احد شأو قداسة رأس الكنيسة البابا الحالي فانَّهُ استحقَّ بان يُدعى رسول الافخارستيا. فمذ تبوَّأ عرش الخلافة البطرسية صرف مفروغ جهده الى دعوة المؤمنين الى ذلك الخبز الجوهري الذي نطلبهُ في الصلاة الربانية فانَّهُ في البراءات البابويَّة الاولى التي اصدرها كان يكرِّر على كافة المؤمنين رغبتهُ في رؤية ابنا الله ملتفِّين كلَّ يوم حول المائدة الالهيَّة وفي ٢٠ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٥ فصل الحكم في ذلك وأثبت في رقيم اصدرهُ المجمع المقدَّس قانونيَّة المناولة اليوميَّة لكافَّة المؤمنين وأعلن برغبة السيد المسيح والكنيسة الكاثوليكيَّة في ان يتقرَّب الملائيُّون فضلاً عن الكهنة وارباب الدين الى ذلك السرّ الالهي مصرِّحاً بانهُ لا يحول دونهُ سوى الخطإ المميت الواجب رحضهُ في سرّ التوبة

ثم اردف امام الاحبار فعلهُ ذلك بتسهيل امر المناولة على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم من نصف الليل تحت شروط معلومة وبمنحهِ الغفارين على المتقرِّبين بالتواتر وحضّ الرعاة على اقامة الثلاثيات الاستعداديَّة لعيد القربان الاقدس

وما لبث ان رأى في تأخير الاطفال عن المناولة اجحافاً بحقّ نفوسهم فامر بان يتقرّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز بعد وقوفهم على اهمّ العقائد الدينيَّة

فكان لهذه النهضة الدينية الوقع الحسن في كل الصدور وزاد اقبال المؤمنين على التناول اضعافاً على ما كان قبلاً. فانّ في كنائس رسالتنا السوريَّة قدّم المؤمنون نيفاً ومئة الف مناولة على نيَّة الحبر الاعظم ودوّنوا اسماءهم في سجلّ غاية في الرونق قدّموه الى امام الاحبار في سنة يوبيله الاسقفي فسرّ به اي سرور

*

على انّ تلك الحركة الشائقة نحو سرّ القربان الطاهر التي عمّت اقطار العالم المسيحي وجدت في بعض الكنائس الشرقية الكاثوليكية عوائق لم تلقها في بلاد اخرى وذلك اوّلاً بسبب مادَّة الخبز المستعملة في بعض الطوائف وهو الخبز الخمير الذي تقدّسه الكنائس اليونانية على اختلاف لغاتها ثم السريانيَّة والكلدانيَّة والقبطيَّة وثانياً لعلَّة المناولة على شكلي الخبز والخمر في الكنائس اليونانية وفي الكنيسة السريانية فقط فكان الشرقي التابع لهذه الطقوس اذا اراد التقرّب في الكنائس اللاتينيَّة او المارونيَّة او الارمنيَّة التي تقدّس الخبز الفطير منعتهُ عن ذلك القوانين الجارية بامر الكرسي الرسولي الّا عند الضرورة التامّة ومثلهُ اللاتيني والماروني والارمني في الطقوس ذوات الخبز الخمير لم يُسمح لهم تناول الخمير تحت طائلة الخطأ

على انّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رقيم اوّل اعلنهُ بجمع انتشار الايمان في ١٨ آب سنة ١٨٩٣ ثمّ في براءته الجليلة المنونة « بشرف الكنائس الشرقيَّة » (Orientalium dignitas Ecclesiarum) خفّف نوعاً هذا العبء الثقيل على عاتق النفوس التقيَّة فانّهُ منح في رقيمهِ للكاثوليك من اهل الطقسين (الشرقي والغربي ان يتناولوا في طقس غير طقسهم في الاماكن التي لا يوجد فيها كاهن او كنيسة من طقسهم الخاصّ. اما في براءته السابق ذكرها فانّه بعد تأييده لامتيازات الكنائس الشرقيَّة وتوسيعها بنعم جديدة اذن لكلّ الكاثوليك من الطقسين ان يتناولوا على شكل الخبز الفطير او الخمير في كل موضع لا يستطيعون دون ان ينالهم انزعاج كبير الذهاب الى كنيستهم بسبب بُعدها. لكنهُ قيَّد ذلك بشرطين ان يبقى الحكم في امر هذه المناولة للسادة المطارنة وان لا يُعدّ التناول على غير طقس التقرّب كتغيير لطقسهِ

لكنَّ هذه التسهيلات ذاتها لم تحلّ المشكل حلًّا وافياً اذ لم يستطع كثيرون من المؤمنين ان يفرزوا بين الازعاج الكبير او الخفيف كما انهم لم يمكنهم في كل وقت ان يلتجئوا الى السادة الاساقفة فكانوا لا يزالون في ريب من امرهم فيمتنعون عن المناولة المتواترة ولا سيما اليومية التي حضَّ عليها امام الاجبار فجاءت البراءة البابويَّة الاخيرة مزيلة لذاك المشكل مبطلة للحواجز التي كانت بين اهل الطقسين دون ان تمسّ في شيء كرامتها

وهنا لا بُدَّ من ان نعود بنظرنا الى تاريخ الكنيسة وعاداتها في ممرّ الاجيال لنتأكد انَّ قداسة نائب المسيح لم يأتِ بمنحه رخصة المناولة الحرَّة امرًا عجيباً يخالف في شيء الكتب المقدَّسة او تقاليد الكنيسة في اجيالها الاولى حتى القرون المتوسطة وانما ألغى حكماً موقتاً لبعض اسلافه في القرون الاخيرة

*

دعنا اوَّلًا نبحث عن امر المناولة على الخبز الفطير او الخمير. لا بدع انَّ السيد المسيح في العشاء السرّي احال الخبز الى جسده والخمر الى دمه. فهذه حقيقة تشهد عليها الاناجيل المقدَّسة ورسائل بولس الرسول وآثار كل الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بلا استثناء في طقوسها وعاداتها وتقاليدها المتواترة جيلًا بعد جيل حتى اوائل النصرانية

فالخبز الذي قدَّسهُ الربّ هو الفطير كما يصرّح به الانجيليون الثلثة متى (٢٦: ١٧) ومرقس (١٤: ١٢) ولوقا (٢٢: ٧) بقولهم ان المسيح اكل الفصح في اوَّل يوم الفطير. وكان موسى نهى اليهود من قبل الله عن ان يأكلوا غير الفطير في فصحهم مدَّة سبعة ايَّام (خروج ١٢: ٢٠) فتعين من قول الانجيليين السابق انَّ المسيح قدَّس الخبز الفطير. ما لم يزعم الزاعم انَّ المسيح اكل الفصح قبل اوانه وهذا مما لا يوافق نصّ الانجيل ويخالف الشريعة مع انَّ الربّ اكد غير مرَّة انَّه اتى ليتمم الشرع فلا ينقض منهُ حرفًا. امَّا ما يؤخذ من آيات يوحنَّا (١٣: ١ — ٢ و ١٨: ٢٨ و١٩: ٣١ و٤٢) ان اليهود لم يأكلوا بعد الفصح وان يوم صلب المسيح كان يوم التهيئة فشكل كتابيّ سعى مفسرو الاسفار المقدَّسة بفضّهِ حلَّهُ

على طرائق مختلفة تثبت كلها عدم الاختلاف بين الاناجيل الثلاثة وقول يوحنا. وهو بحث خاض غمارهُ حضرة الاب انطون صالحاني في المشرق (١(١٨٩٨): ٧٧ و١٠٨) فنحيل اليهِ القرَّاء انفةً من التكرار

ثمَّ لو سلَّمنا للمعترض ان المسيح قدَّس في العشاء السرّي الخمير لا الفطير فيبقى انَّ المسيح قدَّس الفطير مساء الاحد اذ ظهر للتلميذين السائرين الى عمواس فاكل معهما واعطاهما سرّ جسدهِ عندما « اخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما . . . فعرفاه عند كسر الخبز » (لوقا ٢٤: ٣٠ و٣٥) وكان الخبز فطيرًا لوقوع ذلك الاحد في جملة الايام السبعة التي فُرض فيها استعمال الفطير

فان كان لا بُدَّ من الاقرار بتقديس السيد المسيح للفطير فلا تثريب على الكنيسة اللاتينية ومثلها الكنيستان الارمنية والمارونية لاستعمالهما الفطير في القدَّاس

وان استقرينا التاريخ الكنسيّ من عهد الرسل الى ايام ميخائيل كرولاريوس في القرن الحادي عشر وجدنا الكنائس المنبثَّة في كلّ اقطار المسكونة شرقًا او غربًا يُقدّس بعضها على الخمير وبعضها على الفطير دون ان يحاجّ احد الفريقين الفريق الآخر بل ربَّما اختلفت العادة في الكنيسة الواحدة فقدَّمت الذبيحة تارةً على الخمير وتارةً على الفطير على مقتضى تقدمة المؤمنين الذين كانوا يأتون قديمًا بالخبز الذي يخبزونهُ في بيوتهم سواء كان خميرًا او فطيرًا لعلم الجميع بانَّ كليهما يُسمَّى خبزًا ويصلح لتقدمة الهيكل والذبيحة وقد وجدوا لكلّ شكل معاني رمزيَّة فيرون في خميرة الخبز الخمير شبهًا بنفس المسيح المحيية لجسدهِ ويرون في الفطير الخلوص والحقّ كما قال الرسول (١ كور ٥: ٧—٨): « ألقوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجينًا جديدًا . . ولنعيّد لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء بل بفطير الخلوص والحق » فضلًا عن كون مستعملي الفطير كانوا يعتبرون عملهم موافقًا لامر الرب لموسى في سفر الاحبار (٢: ٤) حيث قال: « وان قرَّبتَ قربان تقدمة مخبوزًا في تنُّور فليكن جرادق من سميذ فطير . . . ورُقاق فطير . . . »

وكذلك الشواهد الواردة في اعمال الكتبة الكنسيين والآباء الاوَّلين فتجد بينها نصوصًا تخصُّ بالذكر الخبز الخمير او تصرّح باستعمال الفطير. وقد جمع البعض

هذه الاقوال التي لا يُستنتج منها الّا امر واحد جواز استعمال ايّ خبز كان من البرّ للتقديس ولا ننكر انّ الخبز الخمير زاد شيوعاً في كنائس الشرق على الفطير الذي شاع اكثر في كنائس الغرب

وكان المؤمنون المنتقلون من الشرق الى الغرب لا يتردّدون في التقرّب من الخبز المقدّس وإنْ فطيراً كما كان الغربيّون في كنائس الشرق يتزجون باهلها فيتناولون القربان على شكل الخمير

لنا على هذا الاشتراك المتبادل في المناولة عدّة دلائل منها ما رُوي في كتاب الاحبار (Liber Pontificalis, *ed. Duchesne*, I, 3;4) انّ سفير الحبر الروماني جان اسقف بورتو تولّى في كنيسة آجيا صوفيا في عاصمة الروم رتبة القدّاس مع الاساقفة اليونان

واغرب من ذلك شهادة جليلة وردت في رسالة للبطريرك ميخائيل كيرولاريوس نفسه حيث كتب لبطريركي الاسكندريّة وانطاكية ما رواه الشرق (١٤٤:١) نقلاً عن بارونيوس المؤرخ (ج ١٧ ص ٩٣) وهذا نصّها الثابت معرّباً « أتصل بنا انّ بطريركي الاسكندريّة واورشليم لا يكتفيان بان يقبلا في شركتهما اولئك الذين يستعملون الفطير بل انّهما يستعملان عمداً ايضاً في الذبيحة المقدّسة الخبز الفطير »

فهذه الشهادة من فم اكبر اعداء الكنيسة الرومانية تكفي لتفهم كل معترض لاستعمالها الخبز الفطير في التقديس والمناولة كأنّها تأتي بذلك امراً منكراً. وزد على هذا الرسالة التي استشهد بها الحبر الاعظم من قول ايزودورس اسقف كياف حيث حضّ هذا المطرونوليت شعبهُ على قبول الاسرار من ايدي الكهنة اليونانيين او اللاتين على حدّ سواء اذ كلهم ابناء كنيسة واحدة

على انّ هذا الاتفاق لسوء احوال تلك الازمنة لم يدم طويلا وكرّ الاتراك على حاضرة ملك الروم ففتحوها واسرعوا الى وضع حاجز فاصل بين كنيستي الغرب والشرق بغيةً في التسلط على ممالكها جميعاً بعد تفريق كلمتها وفقاً للمبدأ الشهير « اقسم تملك »

وكلّ يعرف كيف دخلت الكنائس الشرقية في طور جديد بواسطة المرسلين

اللاتين منذ القرن السادس عشر. فانضمّ الكبوشيون والكرمليون واليسوعيون الى اخوتهم الرهبان الفرنسيسيين وخلفوا لكنيسة المسيح شعوباً جديدة من كلدان وروم كاثوليك وارمن وسريان عادوا الى الحظيرة البطرسية وابهجوا قلب امنا الكنيسة بارتدادهم

على انّ الكنيسة الرومانية رغبةً في توطيد ايمانهم لم تشأ ان تمسّ في شيء طقوسهم الجليلة الموروثة عن آبائهم القديسين. ولذلك قد نشر الاحبار الاعظمون الرسائل المكرّرة في تعظيم الطقوس الشرقيّة والمحافظة عليها بكل تدقيق وربّما تهدّدوا بالتأديبات الكنسيّة المرسلين اذا ما حاولوا ان يغضّوا من قدرها او يجلبوا المؤمنين الشرقيين الى مغادرتها. وكان من جملة ما نهوا عنهُ الاختلاط في مناولة القربان الاقدس على غير طقس فوضعوا بذلك حدوداً لبعض حقوق المؤمنين مفتدين به الخير العام على العبادة الخاصّة

الّا انّ احوال الشعوب قد تغيرت اليوم فترى الشرق والغرب قد امتزجا امتزاج الماء بالراح وصار الكلّ يعرفون انّ الطقوس مع عظم شأنها ووجوب حفظها ليست بأمور جوهريّة. ومن ثمّ لا ينقص شيء من كرامتها اذا دعا الداعي الى التساهل في توسيع نطاقها لما ينجم عن ذلك من الفوائد العميمة لذوي الكنيستين كتوثيق عرى الايمان ونموّ الحبّ والاخاء اذ يجلس كل الكاثوليك على مائدة واحدة ويأكلون خبزاً واحداً من فطير او خمير بلا اختلاف

وكان ارباب الكنيستين قد احسّوا بذلك فرفعوا غير مرّة معاريضهم الى الكرسي الرسولي في تعميم المناولة الحرّة للمؤمنين على اي طقس شاؤوا لئلّا يُحرم الشرقيون او الغربيون من نعمة التقرّب في ظروف كثيرة

ولما عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ تجدّدت تلك المعاريض للكرسي الرسولي طالبةً الحريّة التامّة في المناولة على اي طقس كان فاحال الحبر الاعظم طلبهم الى لجنة لتفحصهُ. وكان في تلك اللجنة الطيب الذكر بطريرك السريان بهنام بني احد الراغبين في المناولة الحرّة كما انّ بطريرك اللاتين في القدس السيد يوسف فالركا كان يرى خيراً عظيماً في الترخيص بها

وعليه فلا يكون قداسة البابا بيوس العاشر الّا محققاً لرغائب معظم المؤمنين

الكاثوليك في انحاء الشرق اذ فوّض بهذه النعمة الجزيلة فلهُ منّا الشكر العميم

*

هذا وقد بقيت قضيّة اخرى حكم فيها ايضاً نائب المسيح الحكم الفصل ببراءته الاخيرة لها علاقة مع الامر السابق اعني المناولة على شكلي الخبز والخمر فكما منح قداستهُ الاجازة لسائر المؤمنين بان يتقرّبوا على طقسي الخبز الفطير او الخمير على مقتضى مشيئتهم كذلك رخّص ضمناً للجميع بان يتناولوا على الشكلين او على الشكل الواحد كما يشاؤون وبهذا الحكم ايضاً ازال مشكلاً كبيراً شغل عقول ابناء الكنيسة الجامعة منذ قرون عديدة

ولهذا الحلّ اساسٌ ايضاً في اسفار العهد الجديد وفي عادة الكنائس واقوال الآباء القديسين

فيؤخذ من العهد الجديد ان السيد المسيح قدّس شكلي الخبز والخمر واعطاهما في العشاء السري لتلاميذهِ اجمعين وامرهم بان يفعلوا هم ايضاً كذلك لذكرهِ وجعلهم بقولهِ هذا كهنةً في كنيستهِ ليقدّموا الذبيحة الطاهرة على شبه طقس ملكيصادق اعني تحت شكلي الخبز والخمر. وكذلك كان سبق وقال لليهود اذ بشّرهم بقرب انشائهِ لسرّ القربان (يوحنا ٦ : ٥٤ — ٥٧) « ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديّة وانا اقيمهُ في اليوم الاخير لانّ جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وانا فيهِ » وجاء مثل ذلك في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتيوس (١٠ : ١٣ و ١١ : ٢٣ — ٣٠)

على انّ امر الربّ ومواعيدهُ للمتقربين من سرّ الافخارستيا تعمّ ليس فقط المتقربين من شكلي الخبز والخمر بل المتقربين من الشكل الواحد ايضاً ومن ثمّ لا يجوز القول بان السيد المسيح امر كل المؤمنين بالمناولة على الشكلين كما امر رسلهُ والكهنة من بعدهم ان يقدّموا الذبيحة على الشكلين . وذلك اننا نرى الربّ لا يقدّم لتلميذي عمواس غير شكل الخبز بعد ان باركهُ وكسرهُ . وكذلك في اقوال الربّ لليهود ربّما قصر كلامهُ على الخبز فقط حيث قال (يوحنا ٦ : ٤٨ — ٥٣) : انا خبز الحياة آباؤكم اكلوا المنّ في البريّة وماتوا. هذا هو الخبز النازل

من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منهُ . . . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيهِ انا هو جسدي لحياة العالم » . ومثلهُ قول بولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٧) : « اي انسان اكل خبز الربّ او شرب كأسه على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الربّ ودمهِ » فتهدَّد بالجرم آكل الخبز وحدهُ او شارب الخبز وحدهُ بوضعهِ اداة الفصل

ويؤيد قولنا صاحب اعمال الرسل (٢ : ٤٢ و ٤٦) الذي ذكر المؤمنين ومثابرتهم على الصلاة « وكسر الخبز » اي مناولة القربان الاقدس كما اتفق عليهِ المفسرون دون ذكر شكل الخمر

ثمَّ انهُ من المعلوم انَّ جسد الربّ بعد قيامتهِ جسدٌ حي متحدة بهِ نفسهُ الناطقة ولاهوتهُ الاقدس وكذلك دمهُ الزكي لا ينفصل عن جسدهِ ولاهوتهِ فمن اقتبل احد الشكلين نال السيد المسيح كلهُ بلا انقسام . على اننا لا ننكر ان التقرُّب على الشكلين ادلّ على المأدبة الالهيَّة التي يدعونا اليها المخلص لذكرهِ السجود كما ان الذبيحة لا تُقام الّا بتقدمة الشكلين كما امر بهِ السيد المسيح تلاميذهُ بقولهِ « اصنعوا هذا لذكري »

وان استفتينا بعد ذلك عادات الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة وجدنا لديها سنداً في اثبات المناولة على شكل الخبز فقط او على الشكلين وكانت العادة الغالبة ان يتناول المؤمنون جسد الربّ ودمهُ تحت الشكلين في الكنائس اذا حضروا الذبيحة في حفلات أيام الاحاد والاعياد . امَّا خارجاً عنها فكانت المناولة في الغالب على شكل الخبز فقط وذلك انَّ المؤمنين في الاجيال الاولى كانوا يحفظون في بيوتهم جسد الرب ليتناولوا بذلك الخبز السماوي في مدَّة الاسبوع يشهد على عادتهم كتبة القرون الاولى كترتوليان في كتابهِ الى زوجتهِ والقديس قبريان في كتابهِ عن الساقطين والقديس ايرونيموس في رسائلهِ

وكذلك كان السيَّاح والنسَّاك يأتون الى المدن ليحضروا حفلة القدَّاس أيام الأحد ثمَّ يعودون الى مناسكهم ومعهم جسد الرب تحت شكل الخبز فقط فيتناولونهُ في العزلة . اشار القديس باسيليوس الى ذلك في رسائلهِ وروفينوس في تاريخ الرهبان وپلاديوس في الاخبار الرهبانية (Historia Lausiaca)

ومما شهد لهُ المؤرخون الاقدمون ايضاً كارسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ٤٤) وپولينوس الكاتب في ترجمة القديس امبروسيوس انها كانت عادة مألوفة في الكنائس ان يُحفظ في صوان خاصّ جسد الربّ تحت شكل الخبز وحده ليُحمل للمرضى ومن ثمّ لم يكن المرضى يتناولون غير الخبز دون الخمر ما لم يتناولوا قريباً من الكنيسة و بُعيد الذبيحة المقدّسة

بل وردت في التواريخ القديمة بعض النصوص المثبتة انهم كانوا يتناولون ايضاً في الكنيسة على شكل الخبز فقط . من ذلك ما رواهُ المؤرخ سوزمان (ك ٨ ف ٥) عمّا جرى لامرأة هرطوقية في عهد القديس يوحنّا فم الذهب التي استبدلت مراءاةً الخبز المقدّس بخبز آخر استحضرتهُ لها احدى جواريها فما كادت تدنيهِ من شفتيها حتى صار حجرًا صلباً ولصق بفيها فادركت قبح صنعها واقرّت للقديس يوحنا بجريمتها منيبة فاخرج الحجر من حنجرتها وابقاه في خزانة كشاهد على تلك المعجزة . وقد شاهد سوزومان ذلك الخبز المتحجر الباقي الى زمانهِ (راجع كتاب نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنّا فم الذهب ص ٤٩) وكفى بذلك دليلًا على انّ القربان الاقدس كان يُعطى احياناً تحت شكل الخبز فقط

وكذلك افادنا القديس لاون الكبير بابا رومية في القرن الخامس في ميمر الثاني والاربعين انّ المانويين الذين كانوا يكرهون الخمر ويعدُّونهُ من مخترعات ابليس كانوا يندسّون في جملة المؤمنين فيتناولون جسد الربّ « تحت شكل الخبز وحدهُ » . ولمّا قام خلفهُ القديس جلاسيوس امر بان يتناول كل المؤمنين الشكلين اي الخبز والخمر ليمتاز الكاثوليك عن المانويين . فبقي الامر كذلك مدّة الى ان توارى اشياع ماني

وما لا يُنكر ان عادة المناولة على شكل الخمر بطلت في معظم الكنائس بدواعٍ الظروف الشخصيّة والمكانيّة والزمانية

فاما الظروف الشخصية فلأنّ كثيرين لاسيما من الاطفال والنساء يأنفون من شرب الخمر بل من رائحتها فاضطرّ الامر الكهنة في عدّة كنائس ان يكتفوا بشكل الخبز . وزد عليهِ الخطر في اهراق الدم الكريم لسبب تزاحم المتناولين واضطرابهم في حركاتهم سواء شربوا من كأس واحدة او تناولوا القربان من الملعقة

فضلًا عن اشمئزاز البعض من شرب كأس او لَعْق ملعقةٍ منها اشخاص ذوو عاهات ظاهرة او خفيَّة

واما الظروف المكانية التي دفعت كثيرًا من ارباب الكنائس على ابطال المناولة على شكل الخمر فاصعوبة استحضار كميَّة كافية من الخمر في انحاء لم تُغرس فيها الكروم كالاقطار الشمالية او البلاد التي يُحظر فيها استحضار الخمر كبلاد المسلمين لاسيما اذا كثر عدد المتناولين

واما ظروف الزمان فلأنَّ الكنيسة قد اعتادت اكرام القربان الاقدس بحفظهِ في الكنائس ليلًا مع نهار للتقرُّب منهُ ولنقلهِ للمرضى ولزيارتهِ والسجود له وهذا مما يصعب اجراؤهُ في شكلي الخبز والخمر معًا لما يطرأ على اعراضهما من الفساد السريع اذا امتزجا. وهذا الخطر بعيد اذا حُفظ شكل الخبز وحدهُ لا سيما اذا جُدِّد كل ثمانية ايام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يومًا كما امر المجمع المقدَّس

فكلّ هذه الاسباب اوجبت بعد ردهة من الزمان ابطال عادة التناول على الشكلين فأُلغيت تمامًا في الكنائس اللاتينيَّة والارمنيَّة والكلدانية والمارونية وبقي منها اثر خفيف في الكنيسة السريانية والكنيسة القبطية اذ يجعل الكاهن بعض نُقط من الدم الكريم على شكل الخبز قبل ان يُكسر فيقدِّمهُ للمؤمنين . على انَّ هذا لا يكاد يصدق فيهِ معنى الشرب

فبقيت الكنيسة اليونانية وحدها محافظة على توزيع القربان على الشكلين ولعلَّ فعلها هذا كان من اعظم الاسباب في قلة عدد المتناولين في السنة اللهمَّ الَّا خميس العهد وبعض الاعياد الكبيرة. ومن غريب ما يجري عليهِ الروم الارثذكس انَّهم اذا قدَّسوا الخبز في خميس العهد حنَّطوهُ وطحنوه ومزجوه ببعض النقط من الخمر المقدَّسة وعلى هذه الصورة يحفظونهُ في كيس ويناولون منهُ المرضى والاطفال. وكل يرى ما في هذه العادة من قلة الاكرام لجسد الرب فضلًا عن انَّ هناك لم يبقَ اثرٌ للخمر ولا يجوز القول بان التناول يكون على شكلي الخبز والخمر

ومهما كان من الامر فانَّ خليقة هامة الرُّسل باطلاقهِ الحرِّيَّة للمؤمنين اقرَّ للكنيستين بصوابيَّة عملهما بل منح الكنيسة اليونانيَّة انعامًا جزيلًا اذ رخَّص لنحو مائتين وخمسين مليونًا من المؤمنين ان يجروا على مثال ابنائها فيتناولوا جسد الربّ

تحت شكليهِ اذا شاؤوا وهو امرٌ طالما رفضتهُ الكنيسة الرومانيَّة على اولادها سابقاً بل ردَّت طلبة ملوك المانية وبوهيمية والمجر الذين التمسوا تلك النعمة بالحاح لرعاياهم اللاتين . ثم انَّها بتساهلها هذا قد اوصدت الباب في وجه كثيرين من الشرقيين لاسيما الوجوه منهم الذين كانوا يطلبون الانتقال من طقسهم الى الطقس اللاتيني رغبةً في المناولة المتواترة وانفةً من استعمال الملعقة . فلم يبقَ لهم اليوم من داعٍ لمبارحة طقسهم

فالشكر اذن كل الشكر لقداسة البابا بيوس العاشر الذي وطَّد دعائم الطقوس الشرقية وضاعف ببراءتهِ هذه الجديدة روابط الحبِّ والاخاء بين الشرق والغرب فيستطيع ابناؤهما ان يصرخوا مع النبيِّ (مز ١٣٢ : ٢) : « ما اطيب وما الذّ ان يسكن الاخوة معاً » ويجلسوا على مائدة واحدة ويأكلوا خبزاً واحداً ويشربوا من كأس واحدة ريثما تتمُّ الوحدة بين الكنيسة الظافرة والكنيسة المجاهدة حيث تزول احجاب الاسرار ويتمتَّع الابرار بنظر ذاك الاله الذي كشف لهم ايانُهم على الارض عظمَ جلالهِ وسموَّ جبروتهِ فأهلهم لان يروهُ وجهاً لوجه الى منتهى الادهار

شواعري في مدينة النور

للشاب الاديب الدكتور اميل عرب

وما ادراكَ ما مدينة النور ! هي عاصمة فرنسة في اصطلاح اهلها بل في عُرف جميع سكَّان العالمين . دخل بنا القطار الطيَّار (الاكسپرس) في محطَّتها المدعوَّة محطة ليون ونحن وافدون اليها من مرسيلية في ضحى اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني من السنة المنصرمة . فما رنَّ في آذاننا اسم باريس عندما صرخ بهِ رائد القطار حتى شعرتُ في نفسي شبه هزَّة كهربائية كادت تسحرني

وبعد هنيهةٍ ركبتُ الاوتومبيل فجعل يتطايرُ بي في شوارع باريس الفسيحة بين قصورها ومبانيها الفخيمة التي ذكَّرتني ما كنتُ اقرأهُ في حداثة السنّ عن المدن الموصوفة في اساطير الف ليلة وليلة . على انَّ مخيلة الانسان كثيراً ما تظلِّم لهُ